

الفنية في شعر ثورة ديسمبر السودانية - (معد شيخون أنموذجا)

دراسة نقدية تحليلية

A Study in Sudanese Revolutionary Poetry "Maad Sheikhoun as a Model"

أستاذ مشارك بجامعة النيلين
كلية الآداب / قسم اللغة العربية

د/هدى أحمد حسن محمد

مستخلص

تنطلق هذه الدراسة من منطلق أهمية تدوين الشعر الذي يعبر عن وضع مجتمعي عام، باعتباره المؤرخ الأصدق الذي ينقل الأحداث والمشاعر، ومن ثم تحليله الذي من المفترض أن يكون التحليل الأصح والأكثر عمقا؛ لتوفر السياقات المقامية والحالية التي تشرح كثيرا من رمزيته ودلالاته العميقة، ناهيك عن وجود الأديب نفسه، مما يكشف بصدق ما وراء النص الأدبي.

فكان اختيار الدراسة للشعر الثوري الفصيح المصاحب للثورة السودانية (19 ديسمبر 2019م) باعتبارها الحدث المجتمعي الأقوى، فكانت بعنوان: "الفنية في شعر ثورة ديسمبر السودانية - معد شيخون أنموذجا"، حيث تناولت ما أنتجه الشاعر الشاب معد شيخون من كتابات شعرية فصيحة، متمثلة في خمس قصائد، جمعت من مقاطع اليوتيوب ومن خلال لقاء شخصي مباشر مع الشاعر نفسه، ودوّنت كاملة في هذه الدراسة. وقد اتبعت المنهج الوصفي التحليلي التاريخي في كتابة هذه الدراسة. ومن أهم النتائج التي خرجت بها الدراسة: الشاعر استطاع أن يعبر بالأسلوب الراقى الرمزي المفعم بالثورية- عن آلام وآمال الشعب عامة والشباب الثوار خاصة، وقد استطاع مخاطبة المتلقي بما يجيش به وجدانه من ثورة عارمة ضد وضع مرفوض، مترفعا عن الانزلاق بالفاظه أو معانيه. كذلك أن ما ينتج وقت الثورة من آداب هو مما يستحق التدوين والدراسة والتحليل، كموثق فني يُجلى صورا واقعية ووجدانية دقيقة يعجز التاريخ عن تدوينها. ومن ثم إتاحة الفرصة لتقويم الإنتاج الأدبي، وصقل المواهب الفنية الجادة.

الكلمات المفتاحية: رمزية، شعر، ثورة

A Study in Sudanese Revolutionary Poetry "Maad Sheikhoun as a Model"

Huda Ahmed Hassan

Abstract

This study is based on the importance of compiling poetry that expresses a general societal situation, as the truest chronicler that conveys events and feelings, and then analyzes it, which is supposed to be the most correct and profound analysis. The availability of current contexts that explain much of the symbolism of poetry and its deep connotations, not to mention the presence of the writer himself, which honestly reveals what is behind the literary text.

The study was chosen for the eloquent revolutionary poetry accompanying the Sudanese revolution (December 19, 2019 AD) as the strongest societal event, and it was entitled: "A Study in Sudanese Revolutionary Poetry - Maad Sheikhoun as a Model", where it dealt with the eloquent poetic writings produced by the young poet Maad Sheikhoun, represented in five poems Collected from YouTube clips and through a direct personal interview with the poet himself, and written down in full in this study.

The study found that the poet was able to express, in a sophisticated, symbolic, revolutionary style, the pain and hopes of the people in general, and the revolutionary youth in particular.

The study confirmed that the literary writings produced at the time of the revolution are worthy of collection, study and analysis, as an artistic document that reveals accurate realistic and sentimental images that history is unable to write down. And then straighten it, and refine the serious young talents

مقدمة:

أحدثت ثورة التاسع عشر من ديسمبر من العام ثمانية عشر وألفين (19 ديسمبر 2018م) تغييرًا مجتمعيًا وسياسيًا كبيرًا في تاريخ السودان المعاصر، وقد كان الشباب قواد هذه الثورة ووقودها، وقد عبروا عن آمالهم وآلامهم ومظالمهم بالشعارات والهتافات، والأغاني والأشعار العامية والفصحى. وقد تناقلت الأسافير الإلكترونية ووسائل الإعلام هذه الأشعار الثورية، وفيها الشعر الفصيح الرّاقى مضمونًا ولفظًا، وبرز من شعرائه الشاعر "معدّ محمد شيخون".

وقد هدف البحث إلى الاستفادة من الأدب الرّاقى الذي قدمته الثورة للراقي بذوق الشباب ومن ثم ترقية الأداء اللغوي لهم، وذلك من خلال تسليط الضوء عليه، ودراسته وتحليل مضامينه. وتكمن أهمية الدراسة في عدد من النقاط، أهمها:

- 1- حداثة الدراسة؛ وارتباطها بأهم حدث مؤثر في المجتمع السوداني وهو ثورة (19 ديسمبر 2018م).
- 2- كونها تستهدف الشباب رعاية لهم، وترقية لأدائهم اللغوي، وهم قادة التغيير وأمل الأمة.
- 3- معاصرة أدب الثورة السودانية للثورة ذاتها، مما يساهم في صحة التوثيق للنص وتحليل الدلالات العميقة للإنتاج الأدبي؛ لا تتّضح حيثيات السياقات غير اللغوية المتممة للمعنى.

وتم تحديد عينة الدراسة في شعر "معدّ شيخون" لأسباب أهمها:

أ/ أن الشاعر الأنموذج شاب متعلم وموظف، وهو يمثل أنموذجا مشرفا من نماذج الشباب السوداني.

ب/ تميز شعره برصانة العبارة وبلاغة التعبير المؤثرة وقد تجلّى ذلك في شعره الفصيح والعامي.

ب/ كونه نتاجا لغويا أدبيا عبّر عن حاجة المجتمع اللغوي بأسلوب رفيع، ولبّى حاجة الشباب الثّوار خاصة والشعب الثائر عامة لتعبيره عن وجدانهم.

وقد انحصرت الدراسة في الشعر الفصيح عند الشاعر "معدّ محمد شيخون". كما حرصت على تدوين قصائده المجموعة من الإلقاء الشفاهي للشاعر في مواقع التواصل الاجتماعي، التي كانت المصدر الوحيد لها حين إعداد هذه الدراسة، والاستماع إلى الشاعر نفسه في مقابلة شخصية.

محاور الدراسة:

المحور الأول: مفهوم أدب الثورة.

المحور الثاني: زمنية الأدب الثوري.

المحور الثالث: الدراسة الفنية في الشعر الثوري عند "معدّ شيخون"

المحور الأول: مفهوم أدب الثورة:

يعرّف الأدب اصطلاحاً بمفهومه الشّامل، بأنّه: "أحد أشكال التعبير الإنساني عن مجمل عواطف الإنسان وأفكاره وخواطره وهواجسه بأرقى الأساليب الكتابية، التي تتنوع من النثر إلى النثر المنظوم إلى الشعر الموزون؛ لتفتح للإنسان أبواب القدرة للتعبير عما لا يمكن أن يعبر عنه بأسلوب آخر"¹. ويعرّف أيضا بأنه: "هو كل ما يؤثر في النفس من نثر رائع وشعر جميل، يراد به التعبير عن مكنون العواطف والضمائر وسوانح الخواطر بأسلوب إنشائي أنيق، يُطلق على الشعر والنثر الفني فحسب"².

١. وقد شاع هذا التعريف حديثاً في عدد من المواقع المختصة: شبكة الألوكة والفصحى... ويكيبيديا ora.wikipedia.m.ar

٢. انظر: إيمان صديق «مفهوم الأدب في النظرية الأدبية الحديثة» بحث منشور في مجلة أقلام الثقافية، بتاريخ ٢٢ مارس ٢٠١٧م

وقد حررت النظرة الجديدة الأدب "فلم يعد مقصورا على الكلمة المكتوبة، ولم يعد مرتبطا بأنماط السلوك، بل أصبح فنا جميلا - مكتوبا أو شفويا- يتوسل باللغة؛ أي: إنه يشترك في جوهره مع سائر الفنون التشكيلية والغنائية والتمثيلية"³

أما الثورة: فهي مصطلح سياسي يعني الخروج عن الوضع الراهن وتغييره باندفاع يحركه عدم الرضا أو التطلع إلى الأفضل⁴. كما عرفت بأنها: "تغيير أساسي في الأوضاع السياسية والاجتماعية، يقوم به الشعب في دولة ما"⁵.

وعليه فإن أدب الثورة يمكن تعريفه بأنه: الأدب المكتوب أو الشفاهي الذي يعبر عن قضايا الشعب الثائر، مجسدا عواطف الثوار، وأفكارهم، وهواجسهم، وآمالهم، وألامهم وصراعاتهم ضد وضع سياسي واجتماعي مرفوض.

المحور الثاني: زمنية الأدب الثوري:

اتفق النقاد في أن "الأدب الثوري" أدب يوعي القارئ ويكشف أمامه حقيقة الواقع الذي يحيط به ليدفعه نحو التغيير. إلا أن النقاد قد تباينوا في تحديد مفهوم الأدب الثوري حسب زمنية إنتاجه على ثلاثة اتجاهات:

الاتجاه الأول: ويرى أصحابه أن الأدب الثوري هو ذلك الأدب النضالي أو التوجيهي الذي يحرك الشعوب والذي يسبق الثورة، باعتبار أن "الأدب يثور قبل أن تثور السياسة، وثورة الأدب هي التي تمهد الطريق لثورة السياسة؛ لأنها تهيب قلوب الناس ونفوسهم وعقولهم: تبغض إليهم نظاما قائما، وتحبب إليهم نظاما تحقق لهم آمالا تمتد إليها عقولهم وتقصر عنها أيديهم"⁶، وإلى هذا المذهب اتجه جورج حنا في كتابه "معنى الثورة"⁷

الاتجاه الثاني: يتحدث أنصاره عن "أدب لا يكتب في أثناء الثورات ولا بعدها مباشرة، وإنما هو يحتاج إلى نوع من التأمل والتدقيق لذلك هو يكتب بعد فترة، يأخذ فيها الأديب وقته للإمام بموضوع الثورة"⁸. ويبرر لذلك طه حسين بقوله: "فليس من فقه الحياة في شيء أن ينجم الأدب فجأة"⁹.

وقد ظهر الاتجاهان في ثورات القرن الماضي، ولعل ذلك يرجع إلى أن الأدب قد خبت جذوته إبان هذه الثورات، ويؤكد قول طه حسين: "لم تكد ثورتنا [الثورة المصرية في 23 يوليو 1952] تنشب وقلأ أحداثها وظواهرها قلوب الناس وعقولهم في مصر وفيما حولها من البلاد العربية، حتى أخذ فريق من الكتاب يتساءلون في إلحاح: "أين أدب الثورة؟". ثم لم تكد تبلغ من عمرها أشهرا قصارا، حتى أخذ هؤلاء الكتاب يظهرون اليأس وخيبة الأمل؛ لأن أدب الثورة لم يستجب لهم حين دعوته..."¹⁰.

وذهب عدد من النقاد إلى أن الثورة حال اندلاعها لا يصحبها أدب لانشغال الثوار عن الكتابة والتأليف

٣ محمد عناني «الأدب وفنونه» طبعة الهيئة العامة للكتاب، ص ١٣

٤ ثورة- ويكيبيديا org.wikipedia.m.ar

٥ مجمع اللغة العربية القاهري «المعجم الوسيط» ص ١٢٣

٦ طه حسين «خصام ونقد» ص ٩٠، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، نسخة الكترونية.

٧ انظر: جورج حنا «معنى الثورة» بيروت: دار الطباعة، ١٩٥٧م.

٨ انظر: تقوى سعدانة في مقال «أدب الثورة في كتابات بوروي سعيدانة» com.blogspot.takwabourawisaidana

٩ انظر: طه حسين «خصام ونقد» ص ٩٠، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، نسخة الكترونية.

١٠ انظر: المرجع نفسه. الثورات العربية في الخمسينيات وما بعدها، والتي كانت غايتها الأسمى الاستقلال من المستعمر

والتجويد، وهو إن وجد فأدب فقير في فنياته وجمالياته، يقول عبد العالي بركات: "ارتبط الأدب المغربي في فترة من تاريخه - فترة الستينات والسبعينات أساسا - بالثورة، وتم النظر إلى هذا الأدب بخفوت الجانب الإبداعي فيه، اعتبارا لسيادة نزعة الإيديولوجية"¹¹.

الاتجاه الثالث: وهو اتجاه يرى الأدب الثوري أدبا يتزامن مع الثورة، وقد قُوبل هذا الاتجاه بعدد من التساؤلات: هل هناك إنتاج أدبي متزامن مع الثورات؟ فإن كان هناك ثمة نتاج فهل هو أدب حقيقي؟ وهل هو ذو فنيات وجماليات؟

وقد بدا هذا الاتجاه بشكل واضح عند النقاد الجدد الذين واكبوا ثورات الربيع العربي في مطلع هذا القرن، وتعرض الكاتبة د/ نيللي عددا من الآراء حول ما كتب وألقي في ميادين الاعتصام في الثورة المصرية (25 يناير)، حيث يرى عدد من المختصين أن ما أنتج هو نواة لأدب ثوري قادم، بينما ترى د/ نيللي أنه أدب ثوري بالفعل؛ لأنه "يعبر عن فترة معينة لا يمكن أن تكتب إلا في هذه الفترة"¹². وأرى أن رأي د/ نيللي رأي شديد نافع؛ إذ إن نشوء أدب متأخر هو محض فرضية، فقد تنقطع الصلة بين الأدباء وواقع الثورات لتغير الأوضاع المتسارع، وهنا نكون قد فرطنا في واحد من أهم المؤرخات للأحداث المجتمعية، ذلك المؤرخ الأكثر خلودا والأوسع انتشارا والأصدق والأدق تعبيرا عن الوجدان والمشاعر.

ويبدو أنه ليس من الصواب القطع بالأحكام التي تحدد زمنية للشعر الثوري؛ لأن لكل زمان ومكان طبيعته ومقوماته المعينة على الإبداع الفني، فقد تنتج الثورات أدبا أنيا راقيا، يتسم بفنيات وجماليات تجعل منه تعبيراً صادقا عن وجدان الشعب الثائر. وبالتالي يصبح من واجب الباحثين في أدب الثورات أن يدوتوا بدقة الإنتاج الأدبي أنيا، وعليهم أن يحللوه تحليلا لغويا أدبيا دقيقا. وقد اعتدت الدراسة بأن ما أنتج في وقت اندلاع الثورات هو أدب حقيقي وهو الجدير بالجمع والنظر والتحليل، باعتباره الأصدق في رسم صورة الواقع والتعبير الحي عن الوجدان المجتمعي. المحور الثالث: الدراسة الفنية لقصائد "معد" الثورية:

وقد أنتجت الثورة السودانية المشتعلة أدبا أنيا، امتاز بعمق التأثير، وامتلك عدداً من فنيات الرمز والإشارة التي زادت من قوة القبول والتأثير، نظرا لتعبيرها عن وجدان المتلقي الذي يعيش الحالة الشعرية ذاتها، لكنه لا يمتلك موهبة الشاعر وفنيته في التعبير عما يحس به.

التعريف بالشاعر معد محمد شيخون: شاب سوداني ثائر، أصله من حلفا، ولد ببغداد، وتلقى تعليمه الأساس والثانوي بالسودان، درس المرحلة الجامعية بأندونيسيا، وتحصل على درجة الماجستير في تخصص البرمجيات. ويعمل الآن ببنك الخرطوم بالسودان.

فجرت الثورة موهبة الشاعر ليبدع شعرا وطنيا، ويمكننا أن نقول أن الشاعر "معد" يعد أنموذجا متميزا حيث كان أول ما كتبه الشاعر "معد" لوطنه مع الثورة، كذلك فقد ردّ شاعرنا مقولة: "إن الثائر إما أن يصنع التاريخ أو أن يسجله"، حيث كانت قصائده تُبث من ميدان الاعتصام عبر مواقع التواصل الاجتماعي، ومن ثم كانت عبر عدد من القنوات الفضائية من خلال لقاءات أجريت مع الشاعر. ومما

١١ مقال في «بيان اليوم» بعنوان «الأدب الثوري» لعبد العالي بركات، بتاريخ: ١٦ / نوفمبر ٢٠١٨ م. <http://bayanealyaoume.press.ma>

١٢ انظر: نهلة نمر «أدب الثورة بين خيال المبدع وحقيقة الأحداث» مقال بجريدة «الوفد» بتاريخ ٦ سبتمبر ٢٠١١ م. على الموقع الإلكتروني. NEWS.ALWAFD.M.WWW

نشر له قصيدتان بالعامية: "شمس الخلاص، أرضاً سلاح"¹³. أما قصائده الخمس الفصيحة، التي هي محور الدراسة: فقصيدة بعنوان: "مالي أرى صفو الحياة": وهي قصيدة عمودية على بحر الكامل، وهي أول قصيدة كتبها إبان الثورة. ثم قصيدة: "مباله السودان ثار" وهي القصيدة التي ذاع صيتها في مقطع فديو، انتشر داخليا وخارجيا على نطاق واسع. وقصيدة "على لسان أم الشهيد" و "في عشق الوطن" وكانت ختام هذه القصائد "فصول الثورة". قصائد "معد شيخون" منتشرة في "اليوتيوب" كمقاطع مرئية مسموعة وليست مكتوبة، وقد خاطب "معد" الثوار من خلال الشعر الحر، متحررا من قيد الشعر العمودي، محافظا على الإيقاع الذي يكتمل - أحيانا- من خلال الأداء الصوتي والتنغيم الشخصي للشاعر حال إلقاءه لقصائده من خلال الوقف أو التسكين أو مد الصوت.

وإذا ما كان من مقاييس العاطفة صدقها فقد تجلّى صدق العاطفة عند الشاعر "معد" من خلال ألفاظه وتراكيبه، التي جاءت معبرة عن قيمه وثوابته، فلا نكاد نرى في شعره أثرا لألفاظ الشعارات والتهافتات التي شاعت¹⁴، وإنما تتجلى في شعره روح المعاني وقيم التهافتات السامية التي اقتنع بها الشاعر، فعبّر عنها باللفظ القوي الفصيح الرصين.

كذلك فإننا نعيش ذلك الصدق من خلال الوزن والإيقاع الذي صاغ أبياته عليها، إذ كانت أولى قصائده قصيدة عمودية على وزن الكامل، وكلما اشتدت الثورة وزاد اندلاعا كانت أوزانه متابعة لهذه الثورة متنوعة متجددة، يشوبها الاضطراب في بعض أبياتها، وتعدد المقاطع في القصيدة الواحدة وقد تختلف إيقاعاتها، حتى بلغت مداها في قصيدته الأخيرة "فصول الثورة". وقد استطاع الشاعر أن يلامس بألفاظه وإيقاعه وجدان الشعب الثائر، لتبرز قدرته على تصوير الأحداث التي غيرت مسار المجتمع. وقد تم تناول قصائده حسب ترتيب كتابتها حسب إفادة الشاعر.

القصيدة الأولى: يا صبر أيوب

مالي أرى صفو الحياة معكرا	والهم في دنياي زاد تجذرا
كل الدروب عليّ ضاقت فجأة	حولي الظلام فكيف لي أن أبصرا
غيم من الأرق الطويل أحاطني	والحقل عندي بالشقاوة أثمرا
حتى التفاؤل لم يعد متفائلا	حبل النجاة بات يبدو أقصرا
سفن على مرسى النعيم توقفت	وسفينتي ضلّت وتاهت في الكرى
والبشر أضحى في مزاد معلى	بات السرور إذن يُباع ويُشترى
هي دهرها دهران قد أخبرتني	أتى لفرحي أن يلوح ويظهر
يا صبر أيوب ألا نبأني	أعود بستاني ويرجع أخضرا؟!
أيا صبر أيوب ألا أخبرتني	أعود بستاني ويرجع مزهرا!

١٣ المصدر: شفوي من معد مجند شيخون في لقاء مباشر له مع قسم اللغة العربية بجامعة النيلين.

الخميس ٢٠١٩ / ١٢ / ٩م

١٤ مثل: تسقط بس، أو «حرية وسلام وعدالة» أو «الطلقة ما بتقتل بيقتل سكات الزول» لكن معاني الثورة وقيم الشعارات عبّر عنها بألوان جزل رفيع.

قال: اتَّخذ سبيلَ الإله خريطةً
لا ترتدي ثوب الشقاء عباءةً
عش في حياتك دون أيّ تذمر
إن الحياة وإن ضاقت لها فرجٌ

فالقيدُ مكسورٌ وربك بشراً
ثوب التفاؤل كان أبهى منظراً
وارباً بنفسك أن تكون مكدرًا
والعسرُ بعد العسر كان ميسرًا

انبثقت قصائد "معد" مع الثورة، وقد جاءت أولى القصائد في تصوير الكدر الذي ملأ فؤاد الشاعر، وكَبَل التفاؤل والبشر بقلبه، فغدا يائسا ضلّت سفينته في الكرى، وما أقسى هذه الغربة! وما أشدّ هذا الضياع! ومن ثمّ دعا الشاعر "صبر أيوب" مستنجدًا، فيجيبه مبينا له أن سبيل السعادة إنما يبدأ بالإنسان نفسه،

القصيدة الثانية: ما باله السودان ثار

وسئلت ماذا قد جرى... ما باله السودان ثار
والأرض حبلى بالنعم.. ما سرّ هذا الاستعار
عمرقو أرضا سواكم... وربوعكم تشكو الدمار
سأجيب لكن باقتضاب... وبكل غبن وانكسار
أرأيت نارا تستجير من الشهيد
أرأيت نيلا يستجير من السُّعار
أرأيت حراسا على مال اليتيم...
سرقوا اليتيم وماله وضع النهار
أرأيت محصولا بلا حصّاد
أرأيت مسجوناً بلا أوصاد
أرأيت شعبا لاجئا ومزقا في داره.. وبدون دارٍ
ما الحل؟؟
هم ؟ ... هم قالوا اصبروا...
فالصبر مفتاح الخلاص
الصبر مفتاح الظفر
إن كان شعبي أنبياء... عقدان أيوب صبر
لم يستطع حمل الهموم.. وأضاره حجم الكدر
فدعا مناج ربه ... ياأارب مسني الضر
فاستجاب له الكريم... وبالنعيم له أمر

ولقد صبرنا مثل أيوب.. وواقعنا أمر
فالوضع في السودان مزّر... وحالنا يبكي
الحجر
لم يسمعوا صوت الحشود...
أو لم يروا دما هدر؟؟
يستمرئون فجورهم وكأنهم...
من دون سمع أو بصر
سنعيده السودان شامخ
وطنا عزيزا منتصر
سأثور...
باذلا في عشق وطني.. كل غال أو نفيس
سأموت في حب الوطن
فانزعوا عني ثيابي ...
وارموا على وطني القميص
كي يردّ له البصر
ثمّ زفوني عريس
فالآن قد أملت حقا ما أريد على القدر
والآن قد عاد الوطن وطنا عزيزا منتصر
الآن قد عاد الوطن وطنا عزيزا وانتصر

ويبدأ بالتزام سبيل الإله، ونبذ التشاؤم، واتّخاذ الرضا وعدم التذمر منهاجا، والإيمان بأن الفرّج مع الكرب واليسر مع العسر. وقد استطاع الشاعر نقل المتلقي معه من قاع اليأس إلى الأفق الرحب الواسع، أفق التفاؤل والثقة واليقين. ولم تحتو هذه القصيدة على إشارة مباشرة للوطن والثورة، لكنها

في منهجها العام ترسم ملامح المعاني والقيم التي آمن بها الشاعر، وبرزت في صور متعددة في قصائده الثورية.

مناسبة القصيدة: السؤال كان سؤالا واقعيا حقيقيا تلقاه الشاعر، فأثار قريحة الشاعر وغيرته على وطنه، استغل الشاعر هذا السؤال ليجيب معبرا عن آلامه وآلام وطنه، وكأنه إعلامي قد ترصد الفرصة لنشر رسالته، وإزالة الغبار عن صورة وطنه، وإعطائه حقه ببيان ما فيه من مقومات القيادة والسيادة والغنى لكنها لم تستغل، فيأتي تعبيره عنها بقوله:

”الأرض حبلى بالنعم“، فهي حبلى ولما تضع، فلا يزال مكنون خيراتها لم يظهر في أرض الواقع. ”عمرتمو أرضا سواكم“ تعبيراً عن ريادة شعب السودان وتمييزه خارج بلاده.

وعلى الرغم من السؤال المباشر الذي بدأ به الشاعر قصيدته، كانت جميع الإجابات مفعمة بالرمزية التي تجمع المتناقضات؛ يؤكد بها مدى التناقض بين خيرات البلاد وبين الواقع المرير الذي يعاني منه الشعب، ليعبر عن معان عظيمة تتناسب مع حجم الظلم والفساد والدمار الذي عانى منه الشعب وعبر عنه الشاعر بقوة اللفظ في قوله: سأجيب لكن باقتضاب... وبكل غبن وانكسار

ثم يأتي بمجموعة من الصور منها:

أرأيت نارا تستجير من الشهيد؟... أرأيت نيلا يستجير من الشعار؟

أرأيت حراسا على مال اليتيم...سرقوا اليتيم وماله وضع النهار؟

أرأيت محصولا بلا حصّاد؟...أرأيت مسجوننا بلا أوصاد؟

أرأيت شعبا لاجئا ومزقا في داره.. وبدون دار؟

ثانيا: التعبير بـ ”هم“ عن مكونات النظام السابق، تغييبا لهم... ومن بعد يتكلم عنهم بصيغة الغائبين:

لم يسمعوا صوت الحشود؟؟.....أو لم يروا دما هدر؟؟

يستمرئون فجورهم وكأنهم.....من دون سمع أو بصر

ثالثا: تكلم عن الصبر أمام عظم المصائب، متناولا قصة سيدنا أيوب عليه السلام، مع أمل يلوح لا يزال

يتردد عند معد في كل قصائده، فيقول: لم يستطع حمل الهموم.. وأضاره حجم الكدر

فدعا مناج ربه ... يااارب مسني الضرر

فالحديث عن صبر سيدنا أيوب عند الشاعر لا يقف عند حدود البلاء والصبر وإنما يتعداه إلى الجزاء

الجميل والفرج الذي جناه من الصبر، ليعبر عما في نفسه من أمل عظيم قاطعا بالنصر، وتحقيق أسمى

الغايات، فيختم الأبيات بقوله: والآن قد عاد الوطن وطنا عزيزا منتصر

القصيدة الثالثة: على لسان أم الشهيد

لا توقظوه...
فلقد أتيت لكي أحيي من بعيد
من أنت؟ .. قالت على استحياء: أنا أم الشهيد
قالوا : سترحل...والآن جئتُ أودّعك..
والقلب مفطور على موت الفقيد..
رفعت يديها للسماء..
خذ من سنييني ما تشاء...خذ أنت عمري والدماء
لكنّه... ولدي الوحيد... أنا .. أنا لا أريد
خذ مني عمري كله... لتمدّه عاما [جديداً]1
بل مدّه يوما [جديداً]
كانت تعاتب ربّها... لكنها متيقنة
[أنّه] قدرٌ وأن الله يفعل ما يريد
المشهد الثاني:
أوقفت الغاسل تستجديه
أن يُغسل بالماء الدافئ.. فالماء البارد يؤذيه
سألت أيضاً عن لون الكفن..
ألزام أبيض؟؟
أعطوه الفرصة كي يحكي..

والله سيرفض؟؟ يحبّ الأزرق والبني ويحبّ
بلاده
حذرت مرارا ياولدي...وبكيت مرارا ياولدي...
لكنّ عناده..
ما رأيك أن تنهض لحظات...
لحظات... وافتح دولايك..
هددتك أني لن أفعل..
لكن كالعادة يا ولدي ... ربتت ثيابك..
ووضعت قميصا تعشقه في أعلى الرفّ
والآن ستحمل ياولدي من أعلى الكف
وستمضي قدما بشموخ في صوب الدار
اختارك ربي بجواره
لن نجزع أبدا ياولدي... فهي الأقدار
وسيدفن وطن في وطن.. وسيحمل نور في
نار
وسيحمل في كتف الثائر... كي يُدفن قرب
الثوار
في رقعة أرض وقادة... كي نكمل نحن المشوار

أورد شاعرنا في هذا النص أحاسيس أم الشهيد في ثورة ديسمبر، دونما إشارة إلى زوجته وأطفاله، فابنها الشهيد - كغيره من شهداء ثورة ديسمبر - أبطال ثوار في ريعان شبابهم. وقد تمثّلت أحاسيس الأم الشكلى في وجدان الشاعر الذي استطاع أن يعبر عنه بعمق على لسانها في صور متعددة يتفاعل معها المتلقي، فتنتقله من مجرد مستمع إلى معاش للحدث المجمع، وكأنّه يشاهد المنظر حيّا متحرّكا أمام ناظريه، مما يثير وجدانه، ويهزّ مشاعره. ولقد أجاد الشاعر تصوير نفسية هذه الأم المكرومة عبر الانتقالات السريعة وبصور متصاعدة تحكي دواخلها المفجوعة المضطربة، ففي دواخلها نداؤها لابنها كي يبقى، ثم حوارها معه كأنّه حيّ قائم بين يديها، ثم حوارها مع الغاسل، وذلك كله في إطار تسليم لقضاء الله؛ إيمانا بعظم القضية، قضية الوطن التي بذل ابنها من أجله عمره. ففي هذه القصيدة نجد أن الشاعر رسم على لسان أم الشهيد هذه المضامين والصور:

أ/ التسليم التام بالقضاء، وهو ما عبّر عنه الشاعر بطرح مباشر:
كانت تعاتب ربّها... لكنها متيقنة

أنّه قدرُ وأن الله يفعل ما يريد
وقولها في مقام آخر: اختارك ربي بجواره
لن نجزع أبدا ياولدي... فهي الأقدار
ب/ رسم الشاعر صورة واقعية تتكرر في بعض قطاعات المجتمع من رفض لموت الابن الشاب،
لا يتنافى مع التسليم بقضاء الله، لكنه تعبير عن عظم المصائب...
خذ من سنيني ما تشاء... خذ أنت عمري والدماء
خذ مني عمري كله.. لتمدّه عاما جديدا... بل مدّه يوما جديدا
وقول الشاعر: سألت أيضا عن لون الكفن...ألزام أبيض؟؟
أعطوه الفرصة كي يحكي...والله سيرفض؟؟
ويقول أيضا على لسان أم الشهيد:
ما رأيك أن تنهض لحظات... لحظات.. وافتح دولابك...
هددتك أني لن أفعل...
لكن كالعادة ياولدي ... رتبت ثيابك..
ج/ تأتي قمة التداخل والانتقال بين شعورين: أولهما - أن ابنها الشهيد لما يميت وأنه لا يزال حيّا تحدّثه
حديث الأم لولدها، وثانيهما- التسليم بقضاء الله إيمانا بقضية الشهيد:
ووضعت قميصا تعشقه في أعلى الرف
والآن ستحمل ياولدي في أعلى الكف
لقد أبدع الشاعر وهو يتكلم على لسان الأم في جعل المتلقي يتنقل ما بين مشاعر الالهفة على ولدها
الشاب المفقود، ورفض دواخلها بأنه لم يعد حيا، فتناديه وتحدث إليه، وما بين تسليمها بقضاء الله
إيمانا بقضيته العظمى قضية الوطن.
ينطلق الشاعر إلى تصوير شغف الأم بابنها واهتمامها بتفاصيل ما يحبه، وهو ما يتماشى مع عمر
الشباب الذي ينتقي ما يلبسه بعناية، لينفذ إلى رمزية الألوان التي تنسجم مع حبه لبلاده، حبا لنيلها
الأزرق وترابها البني، تقول: "يحب الأزرق والبني ويحب بلاده" مؤكدا من سياق الحال أن الروح
الشبابية التي تختار ألوان ملابسها مهتمة بمظهرها هي ذات الروح صاحبة الحماس الوفاة الذي أذهل
المجتمع بمواقفه البطولية في عشق وطنه.
ثم جاء انتقال الأم من التسليم بموته إلى التفاعل مع قضية الثورة والوطن، حيث تخاطبه بقولها:
وستمضي قدما بشموخ في صوب الدار
وسيدفن وطن في وطن.. سيحمل نور في نار
سيحمل في كف الثائر.. كي يُدفن قرب الثوار
في رقعة أرض وقادة... كي نكمل نحن المشوار

ورفعتُ علما في الهوا....أرديتُ لكن ما هوى
ولكل شخص ما هوى... ياليتها شعبي يثورُ
وطُنٌ كليلى. كنْ أنت قيس
ونحن أولى.. يا شعبُ قس
ما ضرنا بذل النفيس
عشقُ قوي.. حبُّ جسورُ
أما عن الفصل الأخير..
يا معشر الثوار..
بالله لا تتخاذلوا... كي يكمل المشوار
أخسرت روعي؟؟ ... بل كسبتُ قضيتي
فالموت من أجل القضية [انتصار]2

يا أمي يكفيك نجيبا
فالبعض يموتُ لكي يحيا
إن كنتُ تركتُك في شيبكُ
فجموع الشعب لك يحيى
وسيسمَعُ صوتي في الشارعُ
ما كنتُ أرددُ وأقول:
فالشمس تضيء وما غربت..
ألشمس الأحرار أفول؟؟
للفجر كنّا كالنواة
ولكل مرء ما نوى
فاخترت بُعدا والنوى
كي يبصر السودان نور

يقول الشاعر ناقلا الحديث على لسان الشهيد:
يا أمي يكفيك نجيا.... فالبعض يموتُ لكي يحيا
إن كنتُ تركتُك في شيبكُ..... فجموع الشعب لك يحيى
نقل الشاعر الحديث الذي كان يردده الثوار على أرض الواقع لأمهات الشهداء، "يا أمي ما تبكي خلي
الوطن يبكي؟"، "شهداءنا ما ماتوا عائشين مع الثوار" "أم الشهيد أمي دم الشهيد دمي".
وسيسمَعُ صوتي في الشارع.... ما كنتُ أرددُ وأقول
فالشمس تضيء وما غربت... الشمس الأحرار أفول؟؟
"وسيسمَعُ صوتي في الشارع": تعبير عن وحدة الغايات والهدف، وأن موته لن يوقف الثورة فالمشوار
سيكمل ولن ينقطع ... ونور شمس الحق لن ينطفئ، ويواصل الشهيد حديثه؛ منتقلا لإيقاع سريع
يصب في عشق الوطن، ومنه قوله: للفرح كنّا كالنواة...ولكل مرء ما نوى
فاخترت بُعدا والنوى... كي يبصر السودان نورُ
ويختم بترسيخ مبادئه في أن الشهادة انتصار للقضية: "فالموت من أجل القضية انتصار15"

القصيد الرابعة: في عشق الوطن

قد كنت أعشقُ في الخفاء صبيّةً
فالعشق أحلى في الخفاء من العلن
من ذا رأى ذاك السمار بخدّها
أو من رأى تلك العيون وما افتتن؟
والآن أعلن للجميع مصرحاً
أنني بكل الفخر أعشقه الوطن
فالله قسّم رزقه... الربّ من فوق السماء
فرزقت وطناً طيباً.. والله يرزق من يشاء
وطنٌ كصومي.. في الفريضة
والمحبة والعناء...
سنظل نعشقه حتى وإن طال المساء
فالليل في وطني جميل... وبنورك حلّ الضياء
ملئت شوارع بالهتاف... حاشاه شعبي أن يخاف
قد أينعت كل الربوع... من بعد ما كانت عجاف
يا شعبنا المنصور... ملء الشوارع نور
الأصل من حلفا... والقلب في دارفور
محبوبتي حسناء... وقلبها مكسور....
عيونها داري.. ودارها مهجور

غازلتها فتبسمت..
همّت تكفكف دمعها.. أخفت جروح الروح
همّ الوطن هو همها.. فقدت أعزّ الناس
ذاك الصغير وأمها..
لكنها.. لكنها.. هتفت وبصوت مسموع
ما أخرجنا قط الجوع
أخرجنا ظلم وفساد.. أخرجنا وطنٌ موجوع
وقفت لتردد في الساحة.. كالبلبل تهتف
صدّاحه
تحمل أفراحا وبشائر... سنضمّد للوطن جراحه
فالله قسّم رزقه... الربّ من فوق السماء
فرزقت وطناً طيباً... والله يرزق من يشاء
وطنٌ كصومي.. في الفريضة
والمحبة والعناء...
سنظل نعشقه حتى وإن طال المساء
فالليل في وطني جميل..
وبنورك حلّ الضياء

قصيدة "في عشق الوطن" تنقل فيها الشاعر بين معانٍ متعددة نقلات سريعة، كأنما جمع فيها مقطوعات قصار متعددة، تصبّ جميعها في عشق الوطن المكلوم المجرّوح. فصاغها في أوزان وقواف متلوّنة، أشبه ما تكون بعبارات السجع لا القصائد، يتحقق النغم والإيقاع فيها بتسكين القافية وتقييدها. ويبدو في هذا العمل بوضوح أثر السمة الإلقائية الشفاهية كواحد من مقومات ومكملات التذوق والقبول، كما تجلّى ذلك في اختتام القصيدة بتكرار مقطع من منتصفها، يتسم بالحماسة والتفاعلية وإلهاب مشاعر الثائرين للوطن. وإلى جانب ذلك تناولت القصيدة سمو المعاني التي كان الشاعر مهتماً بإبرازها، وهي:

عشق الوطن مهما كانت آلامه، إذ عدّ هذا الوطن رزقاً طيباً من الله تعالى. ويرى أنّ الثورة والهتاف ورفض الظلم - في حدّ ذاته - إيناع من بعد الجفاف. وقد أكد الشاعر سمو الغايات في خروج الشعب الثائر؛ رفضاً للظلم، وجدّد اليقين بتحقيق الأمل المتجدد بالنصر وتحقيق البشريات.

القصيدة الخامسة: فصول الثورة:

الآن سأرويها قصة....	أتظنُّ بأنَّ الناس جِياع.....	اتصلوا بالرجل السحري....
وسأحكي كل فصول النصر	أخرجهم خبزٌ أو سكر	يوجده حلا للأمر
قصة قوم عشقوا الأرض... فدوها عمرٌ	فالشعب يقوم بجرد حساب....	يطرنا أفكارا دوما....
قصة شعب يُسقى مرًا... ينبت صبرٌ	قد خرج ويحمله الدفتُر	أراء تجري كالنهر
في الفصل الأول...	قد خرجوا رفضا للطغيان....	فطنٌ وذكيٌّ لماحٌ.....
قالوا: زوبعة في فئجان....	رفضاً لسياسات العسكرُ	مخترع لدفاع النظر
فالشعب يعاني حالة فقرٌ	أوصيك كما أوصي نفسي.....	الحل بسيط يا سادة...
يعاني شحاً في البنزين...	من هذي الثورة فلنحذرُ	وإليكم حلّكم الجذري:
وسياتي دعمٌ باخرتين	يا قوم...	نعطيهم حقَّ استفتاء.....
سنوزعُ خبزاً في دلقو...	نيران الثورة تتأجج....	من فتحوا باباً للنصر
أما إخواننا في الدامر نعطيهم قرٌ	وكلامي أبدا لا يثلج....	واستوصوا خيراً بالجار....
وسندعو الله بأن تفرج....	أرجوكم أعطوني مخرجٌ	بإخوتكم في دولة بري
فالشعب بعيد عن ربّه	ليلي ونهاري في حيرة....	إيقاف فوري للفيّس....
سنحثّ الشعب بأن يدعو....	أكرهها - والله - السيرة	أسبوع من دون خميس
وسيقضى الأمر...	فالشعب المارق يتمرّد....	اعتقلوا كل الثوّار...
قاطعهم شيخهم الأكبر....	ومسيره... من بعد مسيره	واحترسوا فالعام كبّيس
أعترض... وقد أعذر من أنذر....	وشعوب تدعم من ظلموا...	أحيانا تبلى بالمرض....
فالشعب تعلمه الدرّسا...	لا راعوا فضلا لا جيرة	أو تبلى فقدا للولد
والعذر الواهي يتكرّر....		أما مشكلتي في بلدي....
		فبلاء في شكل رئيس

بدأها بقوله: "الآن سأرويها قصّة" مما سوّغ معه أسلوب السرد، والتحرر من قيد الوزن أحيانا، وتنوّع الإيقاعات، والذي كان سمة بارزة في قصائده الثورية. في الفصل الأول يفرض الشاعر تحجيم أسباب الثورة في نقص المؤن وحوادث الأزمات، وقد عبّر عنه تصريحاً في قصيدة "في عشق الوطن" قائلاً: ما أخرجنا قط الجوع... أخرجنا ظلم وفساد... أخرجنا وطنٌ مَوجوعٌ ويرى أن الثورة كانت ثمرة صبر حتى بلغ الصبر مداه. وهو ما تناوله في قصيدة "ما باله السودان ثار"، ممثلاً بصبر أيوب عليه السلام فيقول: إن كان شعبي أنبياء.. عقدان أيوب صبرٌ ولقد صبرنا مثل أيوب ... وواقعا أمرٌ وقد أجرى ذلك على لسان قادة النظام السابق، من خلال حوار رمزي وظّفه "معد" بعناية ليعخدم أغراضاً معنوية، منها:

1- بيان قوة الثورة وقيمها التي قامت من أجلها بشهادة من كانت ضدّهم، يقول على لسان شيخهم الأكبر: أوصيك كما أوصي نفسي... من هذي الثورة فلنحذر....

يا قوم... نيران الثورة تتأجج...

- 2- بيان مدى الاضطراب والتشتت الذهني من قبل قادة لنظام السابق، مع العجز عن احتواء الموقف والحد من المواقب والمسيرات، وهو مفهوم ضمنا من خلال الحوار كله، وصرّح به على لسان شيخهم الأكبر إذ يقول: ليلي ونهاري في حيرة.... أكرهها والله السيرة
فالشعب المارق يتمرد.... ومسيرة من بعد مسيرة
وقوله: اتّصلوا بالرّجل السحري..... يوجد حلا للأمر.....
- 3- فضح أساليبهم التي لم يكن لها حدود في قمع الثّوار، فهم يتشاورون مجتمعين لإيقاف الثّورة بكافة الطرق، بدءًا بالوعود بانفراج الغمّة ووصول الدّعم، ثمّ التهديد والوعيد، ثم ممارسة القمع إذ يختتمها بقوله: اعتقلوا كل الثّوار..... واحترسوا فالعام كبيس
- 4- يختتم الشّاعر المشهد كله في الفصل الأول، تلخيصا لهذه المهازل كلها، قائلا:
أحيانا تُبلى بالمرض....أو تُبلى فقدا للولد....
أما مشكلتي في بلدي.... فبلاء في شكل رئيس
- وقد اتسم هذا التركيب الأسلوبى الختامي بالجمع بين القوة والمفاجأة والسخرية، ذلك الأسلوب الساخر الذي تجلّى في عدد من التعبيرات في الفصل الأول من فصول الثورة، فقلل من حجم الظالم، وبين تخبّطه وعجزه، مما أسهم في التنفيس عن آهات المتلقي من الظلم المعاش، وخفف احتقان النفوس مما مورس ضدها من صور البطش. كذلك فإن بعض رمزيات السخرية يفسرها السياق الثقافي السابق ولا تتضح من خلال السياق اللغوي وحده.

اذكروني إن غرستم شتلة يوم يؤتي غرسكم حلو الثمار قد كنت كالجمر الذي لا ينطفئ متفرد كالنجم في وضوح النهار مزقت كل مخاوفي .. حطمتها وخرجت كالطوفان والإعصار ورسمت أحلامي على تلك الحوائط فاحفظوا ما قد رسمت على الجدار ورسمتُ مقلة من أحب ودمعة فامسحوها إن مررتم بالديار فاضلت بين محبة ومحبة وكلاهما نفس الخيار فإما أن أموت بسهم لحظك وإما أن أموت على الجدار فاخترت أن أمضي لكي يحيا الوطن من أجل بسمتها وأطفال صغار إن تقتلوني قد قتلتم واحدا ألف سيكمل ذاته المشوار	وطني يناديني ألا يا منجدي أهديته روعي وكان لزاما xxx ماكنت أبغيه الرحيل ماكنت أنويه الفراق أحلامنا كانت كنيل ودماؤنا أضحت تراق والدرب أحيانا طويل والحب أبلغه العناق فالروح للوطن العليل حق وإن شقّ المذاق أتراه يذكرني الجميل أتراه محبوب يَشاق ولوصلهم هل من سبيل؟ أشتاقهم كل الرفاق لكن وعدا قد قُطِعَ وبيننا كان اتفاق xxx فاذكروني إن تحقق انتصار واذكروني إن بدأتم في العمار	الفصل الثاني: من جبّ قد خرج المارد فالثورة تحتاج لقائد سأقوم بإعداد الخطة يا جمهور الشعب الصامد..... xxx قمع قد جابه إصرار من يوقف زحف الثوار فوقود الثورة من دمنا وشهيد قد كان النار إن مت فقد كان قضاء سيواصل غيري المشوار..... xxx قد كنت في صدر المحب علامة فعلام هذا العشق يقتلني علام؟ قلدتني بالموت حين قتلتنني فالموت أحيانا يكون وساما برصاصة خرقت فؤادي... لم أمت.. فالموت أن تحيا بدون كرامه
--	---	--

الفصل الثاني:

وهو في مجمله عدد من المقاطع، تجسّد في عمومها قوة الثورة، وقيم الشهادة، آمال الثوار وآلامهم، عشق الوطن، ويصل الشاعر إلى تجسيد تلك المعاني من خلال تراكيب تتسم بفنية عالية مشبعة بمعاني القوة في هذه الثورة وصلابة الثوار، عبر رمزية بديعة، ومن ذلك قوله:

×(من جبّ قد خرج المارد)

×فوقود الثورة من دمنا.... وشهيد قد كان النار

×قلدتني بالموت حين قتلتنني.... فالموت أحيانا يكون وساما

×برصاصة خرقت فؤاد... لم أمت.....فالموت أن تحيا بدون كرامة

×مزقت كل مخاوفي حطمتها.....وخرجت كالطوفان والإعصار

ثم يأتي الشاعر - كما في كثير من عرضه - لينفث روح القوة والتأثير في إيصال المعنى من خلال إجراء الحديث على لسان غيره، وهنا يأتي حديثه على لسان الشهيد، مرسخا معاني الفداء لأجل الوطن، وأن قتل واحد يثبت ألفا، وأجمل ما تصوره هذه الأبيات آمال الثوار ويقينهم بالنصر، وما أروع ذلك

حينما يأتي وصية من شهيد، يقول معد:
 فاذكروني إن تحقق انتصار... واذكروني إن بدأت في العمار
 اذكروني إن غرستم شتلة... يوم يوتي غرسكم حلو الثمار
 أبرز "معد" جماليات هذا الفصل أيضا بالتلميح للجداريات التي عبرت فيها الرسوم عن وجدان
 الثوار، تاريخ نضالهم، مطالبهم، آمالهم، آلامهم.
 ورسمت أحلامي على تلك الحوائط.... فاحفظوا ما قد رسمت على الجدار
 ليختم هذا الفصل مؤكدا استمرار الثورة:
 إن تقتلوني قد قتلتم واحدا
 ألف سيكمل بعده المشوار

الفصل الثالث..	بالقرآن وبالإنجيل	فصل أخير
يوم أكد صحوة جيل يوم السادس من أبريل امتزجت كل الألوان والمشهد قد كان جميل أصوات الشهداء تنادي أرواح مثل القنديل فاختلط الحزن ببسمتنا والدمعة في الخد تسيل أقسمنا نكمل ما بدأوا	كهل يطرب بالألحان طفل يلعب بالألوان فاتنة ترقص وتغني تحمل أعلام السودان لم يعجبهم ذاك المنظر كل في الساحة إخوان يا دولة في داخل دوله قد فضت وانتهت الجولة كنا نعلم منذ البدء أن طريق النصر طويل	توقيعنا كان الختام والوضع أفضل ما يرام فلهيب ثورتهم طفئ والشعب قد ألف المنام والله... لن ننسى الوعد... والثورة لم تبدأ بعد ويقيننا يحو الظنون إن الشوارع لا تخون

الفصل الثالث:

1- رسم الشاعر لوحة الاعتصام يوم السقوط، لوحة زاهية الألوان عذبة الألحان، روعتها من جموع
 الثوار على اختلافهم وتباينهم، ليخلد هذه الصورة فتأخذ الكلمات قوتها وتعمق عند كل من حضر
 الموقف أو سمع به، تتجلى في هذا المقطع نغمية إيقاعية تناسب الغرض خفة وطربا، وفيها:
 أ/ قوة التعبير (صحوة جيل)

ب/ الدلالات الزمانية: السادس من إبريل والدلالات المكانية: الساحة
 ج/ تحريك الوجدان من خلال التناوب على استنفار حاستي البصر والسمع:
 امتزجت كل الألوان... والمشهد قد كان جميل
 أصوات الشهداء تنادي... أرواح مثل القنديل

- كهل يطرب بالألحان... طفل يلعب بالألوان..... فاتنة ترقص وتغني... تحمل أعلام السودان
- 2- عاد معد للحديث عن أعداء الثورة بصيغة الغائب المبعد، إذ هو غير مرغوب في ذكره، متجنباً التصريح: لم يعجبهم ذاك المنظر..... كل في الساحة إخوان
- 3- يختم الشاعر أبيات فصول الثورة بقسم أن عهدهم مع الوطن سيظل باق، لا يحجمه توقيع ولا اتفاق، رقباء على الثورة، فالشعب الذي قام أولاً رافضاً كل ما ينافي الوطنية سيظل موفياً بعهد، ولن يخون، وذلك رداً على من ظن أن لهيب الثورة سينطفئ:
- ويقيننا يحو الظنون... إن الشوارع لا تخون
- ”فصول الثورة“ قصيدة كاللوح الفنية متعددة الملامح متكاملة منسجمة في مجملها، معبرة أياً تعبير عما يجيش به صدر الشعب الثائر، مخدلة لتفاصيل دقيقة بمصطلحاتها وبرمزيتها، وبرسمها لصور حقيقية كانت على مرأى ومسمع المجتمع اللغوي كله، ومن هنا ترسخ الصدق الفني الذي جعل قصائد ”معد“ مؤرخاً عالي الجودة في هذه المرحلة.
- القيم التي بثها ”معد“ في شعره:
- عشق الوطن وبذل الغالي والنفيس من أجله، بل بذل الروح، وإعلاء قيمة الشهادة والشهداء.
- رفض الظلم، والثورة عليه هو في حد ذاته انتصار.
- الصبر المقرون بالتفاؤل واليقين بالنصر.
- القيم العليا هي الأولى بالاهتمام والانشغال بها.
- السمات الأسلوبية الفنية في شعر ”معد“:
- أولاً: الاقتباسات من القرآن الكريم والحديث النبوي:
- 1- ”والعسر بعد العسر بات ميسيراً“: اقتباساً من قوله تعالى في سورة الشرح: ”فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (5) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (6)“
- 2- لم يستطع حمل الهموم وأضاره حجم الكدر فدعا مناج ربه يا رب مسني الضر
- اقتباساً من قوله تعالى في سورة الأنبياء: (وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسْنِيَ الضُّرِّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (83) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذَكَرَى لِلْعَابِدِينَ)
- 3- فانزعوا عني ثيابي وأرموا على وطني القميص ... كي يرد له البصر
- اقتباساً من قوله تعالى في سورة يوسف: ”أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا.. (93)“
- 4- للفجر كنا كالنواه ولكل مرء ما نوى
- اقتباساً من قول الرسول صلى الله عليه وسلم: ”إنما الأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى....“ 16
- ثانياً: تناول الشاعر للشخصيات:
- يمكننا أن نقول: إن إشارات معد للشخصيات كانت رمزا، لأغرض دلالية تتجاوز مجرد الإشارة لشخصية ما دون غيرها، ويمكن عرض ماورد في شعره كله سواء أكان تصريحاً باسم علم: كأيوب
- ١٦ أخرجه البخاري «باب بدء الوحي» رقم [١] باب ما جاء إن الأعمال بالنية والحسبة، ولكل امرئ ما نوى.
- راوي الحديث: عمر بن الخطاب.

ويحيى عليهما السلام، أو ضمنا: كيوسف عليه السلام، أو كان إشارة لجنس عام شاملا أفراد: كالشهيد وأم الشهيد، أو كان كناية عن أشخاص تجنّب ذكرهم ترفعا. وفيما يلي بيانه: أيوب عليه السلام: وقد ذكره معد في قصائده لترسيخ معنى الصبر الذي ينتج خيرا ويعقبه فرج، يقول: يا صبر أيوب ألا نبأتني × أيعود بستانني ويرجع أخضرا وفي قصيدة أخرى يقول : إن كان شعبي أنبياء... عقدان أيوب صبر يحيى عليه السلام: وهو رمز لتعويض الأم التي بلغت المشيب وقلبها معلق بالابن، فجعل الشاعر جموع الشعب لأم الشهيد بمثابة "يحيى". ويستوحي في هذا المشهد قصة سيدنا يحيى عليه السلام، "إذ إن سيدنا يحيى عليه السلام جاء بشارة لوالدته بعدما يئست؛ لبلوغها من الكبر عتيا، وكذا أم الشهيد يعوضها الله عز وجل بأبناء وهم "جموع الشعب السوداني"، والسياق اللغوي الدال على المعنى قوله : إن كنت تركتك في شيبك¹⁷ × فجموع الشعب لك "يحيى يوسف عليه السلام : لم يصرح الشاعر باسمه، وإنما نقل حديث يوسف عندما أعطى لإخوته قميصه ليلقوه على وجه أبيه (يعقوب عليه السلام) فارتدّ بصيرا، مرسخا معنى قوة انتمائه لوطنه وتضحيته من أجله بقوله: سأموت في عشق الوطن فانزعوا عني ثيابي.... وارموا على وطني القميص لكي يردّ له البصر

الشهيد وأم الشهيد: هو وسمٌ لكل من بذل روحه فداء لوطنه إيمانا بقضيته، دون تصريح أو تلميح لواحد دون آخر، عبّر "معد" عن قضايا كل الشهداء وقناعاتهم وآمالهم على لسان الشهيد نفسه، مرسخا القيم العليا التي تجمعهم. أما أم الشهيد فهي الأم المكلم الموجهة، والمسلمة الراضية، والمؤمنة بعظمة قضية ابنها الشهيد لأنها قضية الوطن. كنى الشاعر عن رموز النظام السابق ولم يصرح، مستعينا بأدوات السخرية والتهكم، دون أن ينزلق إلى ما ينبو عن الذوق الرفيع، ومن الكنايات ما تتسع دلالاته ومنها ما تتحدد مؤشرات لواحد دون غيره وفق سياقات غير لغوية، لا يدركها إلا من يدرك كنه الكناية وسببها، والكنايات هي : أ/ "شيخهم الأكبر". ب/ الرجل السحري. ج / مخترع لدفاع النظر

ثالثا: تعدد أساليبه في التعبير عن مظاهر القمع الظالم :

- اتخذ شاعرنا "معد" للتعبير عن مظاهر القمع ومدى الظلم أساليب متعددة:
- 1- التصريح، وقد كان في أوائل قصائده، معبرا بألفاظ صريحة، منها: "دما هدر" "يستمرئون فجورهم" إذ يقول: لم يسمعوا صوت الحشود...؟؟...أو لم يروا دما هدر؟؟ يستمرئون فجورهم وكأنهم... من دون سمع أو بصر
- 2- إلهاب مشاعر المتلقي من خلال إشراكه في الألم النفسي لنتائج القمع والقتل، كما في قصيدة "أم الشهيد"، والانصراف التام عن التعرض للسبب لعظم القضية.
- 3- عرض أساليب القمع على لسان القامعين، مما يعطي المتلقي شعور الاستخفاف والتقليل من أهميتها لدى الثوار فطوفانهم لن يقف، كذلك يعبر عنها الشاعر بتراكيب جمالية، عرضها بأسلوب تهكمي

ساخر موغل في الرمزية، تكتمل صورته وملامحه بالسياق الثقافي وسياق الموقف، فيقول:
واستوصوا خيرا بالجار.... إخوتكم في دولة بري
وذلك إشارة إلى ما كان يمارس من بطش سافر ضد أهالي منطقة بري، التي أطلق عليها الشاعر "دولة بري".

إيقاف فوري للفيس..... أسبوع من دون خميس
اعتقلوا كل الثوار.... واحترسوا فالعام كبس
وفيه يشير الشاعر إلى قطع "النت" تعسفا، وإلى المواكب والمسيرات التي قرر الثوار قيامها في الساعة الواحدة ظهرا كل خميس، والتي كان يعدّ لقمعها وإخمادها إعدادا بجميع الأساليب.

رابعا: قوة ختام القصائد:

تتسم ختام قصائد "معد" بفخامة اللفظ وقوة الأسلوب، حاملة قيما عالية، وقد برز ذلك في الأبيات التي ختم بها الفصول في قصيدته الأخيرة.

خامسا: التكرار:

دارت قصائد "معد" حول أفكار ومعان حاول ترسيخها من خلال تكرارها في قوالب لفظية متعددة، وأساليب متنوعة. كذلك قصد الشاعر إلى تكرار الألفاظ داخل القصيدة مؤكدا بها المعنى ومثيرا الحماس، خاصة وأنها قصائد مسموعة يتلقاها السامع شفاهة من شاعرها، وهي سمة ملاحظة في قصائده، ومن ذلك قوله في قصيدة "يا صبر أيوب": "أيعود بستانني ويرجع أخضرا.... أيعود بستانني ويرجع مزهرا"
ومنه قوله في قصيدة أم الشهيد: "خذ من سنيني ما تشاء..... خذ أنت عمري والدّماء.... خذ مني عمري كله..."

وقوله: "فاذكروني إن تحقق انتصار... واذكروني إن بدّأتم في العمار... واذكروني إن غرستم شتلة"
سيادسا: الأساليب الإنشائية:

وظف الشاعر الإنشاء الطلبي وغير الطلبي بفنية عالية، وكان من أهم ما تميّز به اعتماد هذه الأساليب على الإلقاء الصوتي، وما لوحظ في قصائده استخدامه أسلوب الاستفهام دون أداة استفهام¹⁸، معتمدا على التنغيم الصوتي، والسياق اللغوي الحوارية، وذلك في قوله: "هم؟ هم قالوا اصبروا"
وقوله: لم يسمعوا صوت الحشود؟... ألم يروا دما هدر؟

ولعنا ختما نستطيع أن نقول: إن جذوة الثورة الصادقة تشري اللغة وتشري البحث اللغوي بفروعه المختلفة، وإن الأدب الراقي جدير بالدرس وتسليط الضوء عليه، والعمل على دراسته ورعاية أدبائه، فإن وجد الأدب الثوري الراقي من شباب مخاطبا وجدان الشباب في وطنيتهم، معبرا عن أفراحهم وتضحياتهم لأجل قيمة سامية هي الوطن - فمثل هذا الأدب هو الأجدر بالدرس والنشر والذيع.

١٨ الاستفهام بغير أداة هو أسلوب غير شائع، ولا يجد حظه بين مباحث الاستفهام في الكتب، إلا أنه أسلوب مستخدم رصين في اللغة الحوارية، ومنه ما رواه الترمذي (رقم: ٢٦١٩) في حديث طويل عن معاذ بن جبل قال يحكي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فاخذ بلسانه وقال: «كف عليك هذا» قلت: يا نبي الله، وانا لمؤاخذون على ما نتكلم به؟....

النتائج والتوصيات:

- 1- كل مصطلح أو إنتاج لغوي أنتجه المجتمع اللغوي هو موضوع دراسة لغوية وفق المناهج العلمية للدرس اللغوي والأدبي، وتعد وسائل التواصل الاجتماعي مصدرا هاما للمادة اللغوية.
- 2- يمتاز الأدب بسمتي الخلود والتخليد؛ لذا فإن شعر الثورة يعدّ أصدق توثيق وأدقّ مدوّن للأحداث والمشاعر بظلالها وعمقها، وهو ما يعجز عن تدوينه المؤرخون. كما يعدّ سجلا حافظاً للتغيرات المجتمعية، والسياسية في الدولة السودانية في أثناء ثورة شعبها.
- 3- ما أنتجته الثورة من مصطلحات وأشعار وهتافات - عامية كانت أو فصيحة - يعدّ ذا تأثير بالغ على لغة المجتمع، ولا يمكن إنكاره أو التقليل من أهميته، خاصة على قطاع الشباب الثوار صانعي الثورة، وعليه يعظم دور الأدب الراقي الفصيح ومسؤوليته في ترقية المجتمع لغة وفكرا.
- 4- شعر معد شعرٌ راقٍ مهذب؛ يسمو بالمجتمع فكرا ولفظا ومعنى، ويخلو من الألفاظ الجارحة أو النابية، على الرغم من أنه يعبر عن فترة صراعٍ ثوريٍّ جويٍّ بأنواع القمع السافر.
- 5- استطاع معد أن يبرز القيم الإيجابية في الثورة في شعرٍ راقٍ رفيع، رافعا قدر الشعب الثائر، مدعما قيمة عشق الوطن، والتضحية بالروح من أجله، مؤكدا أن الشهيد نبت يولد ألف ألف ثائر وناثر.
- 6- تجنب شاعرنا التصريح عن مكونات النظام السابق، انشغالا بالقضايا العظيمة، ولجأ إلى الإشارة إليهم بصيغة الغائب المجهول. مستعينا بضمائر الغيبة، والكنيات المفعمة بالتهكم والسخرية، وبلغ قمته في قصيدة "أم الشهيد" فلم يورد لهم ذكرا، انشغالا بعظم قضية الشهيد.
- 7- أبرز معد مثالب قرارات القمع في بعض عبارات معانيها تنجلي من خلال السياق الثقافي لخلفيات الأحداث، والتي هي حاضرة حضورا فعليا عند شباب الثورة: كما في قوله: "واستوصوا خيرا بالجار..." وما بعدها.
- 8- الدلالات العميقة لعدد من التراكيب البنائية تتحدد من خلال السياقات الثقافية والاجتماعية والحالية، ولا يفني السياق اللفظي وحده إلا بجزء من المعنى.
- 9- في لقطات متعددة أرسل شاعرنا فكرته على لسان متكلم آخر، كما في "أم الشهيد، أو الشهيد نفسه، وكذلك قادة النظام السابق": مما أسهم في تعميق المعاني، ومساعدة المتلقي على التعايش مع الفكرة، كأنما هي أحداث مسرحية، تراها العين كما تسمع الأذن حوارها.

التوصيات:

- 1- رعاية الأدباء والشعراء الموهوبين خاصة من فئة الشباب رعاية أدبية وعلمية لصقل مواهبهم، وتدوين إنتاجهم، وإخضاع إنتاجهم للسلامة النحوية والصرفية وضوابط اللغة السليمة.
- 2- نشر أدب الثورة الراقي لترقية الأداء والسمو بالذوق اللغوي لدى المجتمع اللغوي عامة والشباب خاصة، من خلال الاهتمام باحتياجاتهم وقضاياهم.
- 3- تبني الجامعات والجهات العلمية لمسابقات أدبية في قضايا حية تمس واقع الشباب، وتعبر عن وجدانهم.

المصادر والمراجع

- ١- ويكيبيديا
- ٢- مفهوم الأدب في النظرية الأدبية الحديثة - إيمان صديق - مجلة أعلام الثقافية - ٢٠١٧م
- ٣- ويكيبيديا
- ٤- المعجم الوسيط - ص ٢٣
- ٥- خصام ونقد - طه حسين - مؤسسة هنداوي - ص ٩٠
- ٦- معنى الثورة - جورج حنا- دار الطباعة ببيروت - ص ٥٠
- ٧- أدب الثورة - تقوى سعدان
- ٨- خصام ونقد - طه حسين - ص ٩٥
- ٩- الثورات الهربية في الخمسينيات وما بعدها -
- ١٠- ويكيبيديا
- ١١- أدب الثورة بين خيال المبدع وحقيقة الأحداث - نهلة نمر
- ١٢ - معد شيخون - لقاء مباشر - ٢٠١٩/١٢/١٩